

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

بمناسبة شهادة الصديقة الطاهرة سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام، أتحدث هذه الليلة^(١) عن جانب من شخصيتها التي بها كانت سيدة نساء العالمين، وأرجو أن يجعل الله في هذا الحديث المختصر نفعا

مصيبة الصديقة الطاهرة (ع) مصيبة مؤثرة جدا، لها أبعاد مختلفة، عادة يكون التركيز على البعد العاطفي كمظلوميتها وتعرضها للأذى، بينما هناك أمور أخرى لا يُركّز عليها والتي من خلالها الإنسان -إذا كان مؤمناً وطالبا للهدى- يرتبط بها (ع)

في رواية عن أبي عبد الله (ع) قال: (إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوما وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان يأتيها جبرئيل فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك)^(٢)

لا أريد أن أتحدث عن كيفية الوحي، الإلهام، (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ...) ^(٣)، نريد أن نعرف بناءً على هذه الرواية، جبرئيل من خلال إخبارها بمكان أبيها وبما يحصل لذريتها كان يحسن عزاءها ويسلّيها، هذه التسلية كيف كانت تحصل؟ ثم هل نحن نشاركها في هذه التسلية أم لا؟

باختصار أريد أن أتحدث، لو كانت هذه التسلية تحصل بصورة غيبية، وجود جبرئيل (ع) وكلامه معها هذه مسألة غيبية نحن لا نستطيع أن نشاركها (ع) في هذا، أمّا إذا كانت هذه التعزية

(١) تحدث السيد محمد علي الباقر (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في يوم الجمعة الموافق ١١ جمادى الأولى ١٤٢٧، وقد تطوّع

بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(٢) الكافي (٤٥٨/١)

(٣) (القصص: ٧)

واقعية ونستطيع أن نتلمّسها فهنا نفوسنا تتفاعل مع هذه التعزية فترتبط بها، بماذا كان يخبرها جبرئيل عن ذريتها؟

فاطمة (ع) - كما تعلمون- كان فقدانها لأبيها كأب مؤثر بطبيعة الحال، ولكن كان فقدانها لأبيها بمكانته وموقعه كرسول لله (ص)، افتقادها لهذه الولاية النبوية ودورها، وكذلك إبعادهم للأمير المؤمنين (ع) عن أن يقوم بدوره الذي به كان يستمر دور رسول الله (ص)، فكان هذا هو العامل الأهم لحزنها، فدخلها حزن شديد، لم تُرَ في هذه الفترة مبتسمة وضاحكة، فماذا كان جبرئيل يقول؟ هل كان يخبرها أن ذريتها سوف يتنعمون ويرتاحون والحياة تضحك لهم فيصبحون حكماً فعليين تلتفت الأنظار إليهم فيُغتبطون في الدنيا؟! أم ماذا؟، حينما شخص مثلاً يُصاب بفقد عزيز فيُلفت نظره إلى أن أولاده بخير فهذا مُتفهم، لكن في الواقع حياة ذريتها مليئة بالشجون والمصائب، فطوال قرنين ونصف من الزمان -حال حضورهم (ع)- هل تجد جانباً في حياة أئمتنا (ع) فيها راحة دنيوية؟ الحسن (ع) والحسين (ع) والأئمة من بعدهما كانوا بين مسجون ومقتول

فواقع حياتهم عليهم السلام كانت هكذا وجبرئيل كان يخبرها بهذا الواقع، فكيف يكون في هذا عزاء؟ شخص مصاب بفقد عزيز، وأي عزيز؟ النبي (ص)، فيقال له أن أبناءك كذلك سوف يُقتلون، هل هذا عزاء؟ أم يكون إضافة همّ على همّ؟ ماذا نستطيع أن نفهم من هذه التعزية والتسلية والتخفيف عنها؟

أرجع إلى ما أشرت إليه، فاطمة (ع) عاشت هذه الفترة المظلمة جداً والمؤلمة جداً بحيث أن أي إنسان مهتم بأمر الدين كان يخاف أين ذهبت جهود رسول الله (ص)؟ هل ضاعت؟ ذلك الجهاد العظيم ذلك المجتمع المؤمن الذي بناه رسول الله (ص) مجتمع الأخوة الإيمانية، مجتمع الإيثار، مجتمع الطموح، مجتمع الهمم العالية التي تحرق السماء، مجتمع الاهتمام بأمر العالم كلّهُ، هل انهار؟ ذهب؟ هل هكذا؟ هنا نستطيع أن نفهم أن جبرئيل كان يخبرها أن هذا الأمر الذي صنعه رسول

(٤) أشار السيد (قدس سره) لهذه المسألة في كتاب هكذا آمنت (٢) مذكرات في نبوة النبي (ص) فصل (خلاصة)

الله (ص) سوف لا يموت وأن هنالك جهادا عظيما ممتدا سوف يقوم به أبنائها (ع)^٥، وأية معزة أكثر من هذا؟ هو مؤلم بطبيعة الحال، مؤلم أن الحسين (ع) يُقتل لكن يُعزيها أن بدمه الزكي الطاهر يعلو الدين ويسمو، هذا العزاء نفهمه

أنت كذلك في القضايا الدنيوية لو كنت واضعا جهدك على شيء وكل أملك فيه، فحينما تُصاب وتواجه ما يقلقك ويكاد أن يقضي على أملك، فهنا حينما يخبرك مَنْ تثق به أن هذا الأمل سوف لا يموت وأنه سوف يُركّز على تنمية هذا الأمل واستمراريته، هذا متفهم

أنت حتى إذا كنت ضعيفا وتحب أولادك ولا تريد أن يتأذوا حتى لأجل الدين! وكنت غير مستعد لذلك نتيجة الضعف، لكنك بفطرتك حينما تجد شخصا يرتاح بأن أولاده يتأذون ويتألمون لأجل الدين، هذا الشخص يكبر في نظرك، فحينما أن تجد فاطمة (ع) كانت تتسلى عندما تُذكر بدماء أولادها (ع) وبمصائب ابنتها زينب (ع) وبسبايا كربلاء وبتلك الأمور المفزعة الموحجة فبدل أن تجزع (ع) ترضى بذلك وتحصل فيها حالة الرضا لأجل الدين، إلهي رضيت لأن دين رسول الله (ص) سوف يستمر، فإذاً هي بشكل طبيعي تكبر في النفوس وتصبح سيّدة

وكذلك صبر أمير المؤمنين (ع) (فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهباً)^٦، أنت تتفهم هذا حتى إذا كنت لا تستطيع أن تصبر وتحمل لكن هذا تستطيع أن تتفهمه وتعرفه، لأن نفسك مخلوقة بحيث تتجاوب مع هذا، فأمر المؤمنين (ع) يكبر ويعظم في نفسك، وإذا كنت مؤمنا -وإن شاء الله أنت كذلك- هنا أمير المؤمنين (ع) يكون إمامك

هذا جانب مختصر من جوانب سيادة الصديقة الطاهرة (ع) على نساء العالمين، ذكرتُك بهذا، لعل وعسى أن تنمو وتهتدي في نفسك تلك الحالة الفاطمية، فهنا تحصل بيننا وبينها (ع) رابطة فتشفعنا في هذه الدنيا وفي الآخرة، أرجو أن يكون لهذا أثر فيك، والحمد لله رب العالمين

(٥) بين السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب هكذا آمنت (٤) مذكرات في الإمامة فصل (مظلومون)

(٦) نهج البلاغة (الخطبة الشقشقية)